

مكتبة البنين
قسم الدوريات



عَدْرُ فَاغَصْ بِمَنَاسِبَةِ الْعِيدِ الْعَامِ لِلْجَامِعَةِ قَطْرَ

حولية

مكتبة البنين والملفوظات الجامعية

غير مرسى - مرسى المكتبة

العدد السابع
١٩٨٤ هـ - ١٤٠٤ م

الخيل في الأرب القديم

الأستاذ الدكتور

إبراهيم السامرائي

أستاذ في قسم اللغة العربية للجامعة الأردنية

ما أظن أن أمة احتفلت بالخيل على نحو ما احتفل العرب ، لقد كرموا الخيل ووصفوا محاسنها وخلّقتها وخلّقتها وبحثوا في أنسابها وأصولها فكان من جملة ذلك أدب أصيل ومعجم حافل بالفوائد والأوابد .

ولم يُصنّف في الخيل على نحو ما صنّف فيها العرب ، لقد أدرك الاوائل عناية العرب بالخيل فكان لهم من ذلك مصنفات كثيرة نعرف غير قليل من المطبوع منها ، وما زال قدر آخر منها مخطوطاً . وقد ورثنا في عصرنا هذا تلك العناية القديمة فانبرى نفر من أهل الفضل في عصرنا في الكتابة في هذا الأدب الأصيل^(١) .

لقد صنّف في الخيل خلّقيها وصفاتها وفضائلها وأنسابها جمهرة من علماء الغرب المتقدمين ، وكان منهم ابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩ هـ ، والأصمعي المتوفى سنة ٢١٥ هـ وابن الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١ هـ ، ومحمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ هـ وأبو محمد الأعرابي المعروف بالاسود الغندجاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

(١) أسماء خيل العرب وأنسابها للأسود الغندجاني ص ١٥ - ٢٠ .

على أن آخرين قد خصوا « الخيل » بشئ من مصنفاتهم ومن هؤلاء : ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ في كتابه « عيون الأخبار » ، وابو علي القالي المتوفى سنة ٣٥٦ هـ في كتابه « النوادر » وابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ .

وأخر من عرفت ممن أَلَّف في الخيل في عصرنا المغفور له الملك عبد الله بن الحسين والسيد قدري الارض وعلي البغدادي من محبي الخيل في عصرنا أيضاً .

والعناية بالخيل قديمة في أدب العرب فقد أحبوا الخيل وأجلوها وحبوا أكرم الاسماء والصفات فالخيل « كرائم » والفرس الكريم جواد ، وحسبك ان تعلم ان « الجواد » واحد من الأجواد أي المساميح الكرام . وكما تعلق العرب بأنسابهم معرفتها وضبطها كان لهم دأب في ذلك بأنساب الخيل ، فقد اجتهدوا في معرفتها وحصرها وألقوا في ذلك مصنفاتهم المعروفة المشهورة « أنساب الخيل » كما فعل ابن الكلبي الذي أشرنا اليه :

وأية أنهم عنوا بأنساب الخيل وفضائلها ما نعلم من أسماء خيلهم وجمهرتها اعظام للخيل ومدح « خلقتها » وثناء على « صفاتها » ومنها : الأغرّ ، والاسطع ، والاشقر ، والأدهم ، والأحوى ، والأبلق ، والأحزم ، .. ومنها ما يشير الى عظم منزلته فراحوا ينسبون اليه كأعوج الاصغر ، وهو « سيد الخيل » (كذا) كان لأحد ملوك كندة ، انظر أخباره في « أنساب الخيل » لابن الكلبي ، وكتب الخيل لأبي عبيدة والأصمعي ، وابن الأعرابي وغير هؤلاء واشتهرت هذه الخيل بـ « الأعوجيات » .

وأظن ان السادة ملوك الجزيرة وبلاد العرب وأمرائها مازالوا معنيين بالخيل اكراماً لها ، وقد كان الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام قد أكرم الخيل فقال : « الخيل معقود بنواصيها الخير » ، وقال : « اركبوا الخيل فانها ميراث أبيكم اسماعيل (ذكره صاحب « جامع الأصول » ٤٥/٥) .

وقد أشار محقق كتاب « أسماء الخيل وأنسابها » للأسود الغندجاني ، وهو الزميل الدكتور محمد على سلطاني في « مقدمته » الى « مكانة الخيل في العصر الجاهلي » وكيف كان الجاهليون ينظرون اليها .

جاء في « العمدة »^(٢) لابن رشيق : ان العرب « لا يهتئون الا بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ فيهم ، أو فرس تنتج » .

وقد سوى زيد الخيل فرسه « الهطال » بمكئف ابنه ، وفي ذلك يقول :

أَقْرَبُ مَرَبِطِ الهَطَّالِ إِنِّي أرى حَرْباً تَلْقَحُ عن حِيَالِ
أَسْوِيهِ بِمِكْنَفٍ إِذْ شَتَوْنَا وأوثره على جُلِّ العِيَالِ^(٣)

مثل ذلك قول خالد بن جعفر بن كلاب في فرسه حذفة التي سواها بجاره أو بابنه جزء ، وفي ذلك يقول :

أرَيْغُونِي إِراغْتِكُمْ فإِنِّي وَحَذْفَةَ كَالشَّجَا تَحْتَ الوَرِيدِ
أَسْوِيهَا بِجَارِيٍّ أَوْ بِجَزءٍ وَأَلْحَفُهَا رِدَائِي فِي الجَلِيدِ^(٤)

وكيف تقول في مالك بن نويرة الذي رضي أن يبيت صغاره خياصا جيعا لتنعم فرسه بما يكون لها من « الغذاء » كما في قوله :

جَزَانِي دَوَائِي « ذُو الخِمَارِ » وَصَنَعْتِي إِذَا نَامَ أَطْوَاءَ بَنِي الأَصَاغِرِ^(٥)
و « ذُو الخِمَارِ » فرس مالك بن نويره .

وأعجب من هذا أن يؤثر العربي القديم فرسه على نفسه ، وفي هذا يقول فضالة بن هند بن شريك الأسدي في فرسه « ناصح » :

-
- (٢) العمدة ٦٥/١ .
(٣) حلية الفرسان ص ١٥٩ عن كتاب « أسماء خيل العرب وأنسائها » للغندجاني .
(٤) أنساب الخيل ص ٦٦ .
(٥) أسماء خيل العرب وأنسائها رقم ٢٤٩ .

أَنصِحْ شَمْرُ لِلرَّهَانِ فَإِنَّهَا
عَدَاةٌ حَفَاطٍ جَمَعَتْهَا الْحَلَابُ
أَتَذَكِّرُ إِبْسَائِكَ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ
رِدَائِي وَإِطْعَامِيكَ وَالْبَطْنَ سَاغِبٌ^(٦)

وقد ينقطع العجب حين ترى ثعلبة بن أم حزنه العبدى يرضى أن يجعل نفسه جنة فيموت
ليبقى عريب وهو فرسه ، حياً كما في قوله :

إِنْ عَرِيْبًا وَإِنْ سَاءَ نِي
أَحَبُّ حَبِيْبٍ وَأَدْنَى قَرِيْبٍ
سَأَجْعَلُ نَفْسِي لَهُ جَنَّةً
بشاي السلاح نهب أريب^(٧)

وقد يكون من المفيد أن نعرض لأحدهم الذي رضى لنفسه الحاجة والفقر فلم يدفعه ذلك الى
أن يبيع فرسه ، ولو أدى الحال الى ان يتخلص من ثقل العيال بتطبيق أزواجه ، وهكذا يحكي لنا
عينه بن أوس المالكي حوار « النسوة » فيقول :

تقول : أنا الحرى لقيت مشقة
من الحش والإخلاف فالوجه ساهم
فقال لها الأخرى لأسمع قولها
هو اليوم إن باع « النعامة » ناعم
وما الناعم المغبوط إلا الذي له
غنى وهو مكفى المؤونة طاعم
وقالت : سيعطى بالفلوة أربعاً
وبالمهرة الأخرى ثمان جوازم

وكان عيئة يستمع الى حوارهن فيخرج اليهن وكأنه يردهن فيقول :

ولست بشارهن مالم تطلقي
ولو لمتنى أو لامنى لك لائم^(٨)

ونأتى الى عصرنا هذا بجيره وشره فنجد أهل هذا العصر في الغرب قد ابتدعوا ضرباً من اللعب
الحرام وهو السباق بالخيل والمراهنة على السابق واللاحق والذي يليه فكان « ميسر » جديد ،

(٦) أنساب الخيل ص ٣٩ - ٤٠ .

(٧) أسماء خيل العرب وأنسائها رقم ١١ .

(٨) أسماء خيل العرب وأنسائها رقم ٧٤٠ .

وتجارة حرام . وقد قلد المشاركة الغربيين في هذا العبث المحرم ، ولم تنج ديار الاسلام من هذه الممارسة الملعونة المقيتة واذا كان أهل هذا العصر قد عنوا بالخييل ، فانما يكون ذلك لعنايتهم بهذه الممارسة المحرمة سعيا وراء الربح الحرام لا اكراما للخييل وتكريما على نحو ما عرفنا في « الأثر » .

وقد يقال إن الجاهليين قد مارسوا هذا الضرب من « السباق » والجواب عن هذا ان « الاسلام » قد أبطل ان يتخذ من خلق الله من الحيوان وسائل تقودهم الى الشر فقد قرأنا في الحديث الشريف أنه - ﷺ - قال :

الخييل ثلاثة : فرس للرحمن ، وفرس للانسان ، وفرس للشيطان ، فأما فرس الرحمن فما اتخذ في سبيل الله تعالى ، وقوتل عليه أعداؤه ، وفرس الانسان ما استطرق عليه ، وفرس الشيطان ما روّه عليه^(٩) .

وقال - عليه الصلاة والسلام - في هذه الخييل المباركة : الخييل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة ، الأجر والغية^(١٠) .

وليس أدل على فضل هذه الخييل التي وصفت بـ « خييل الرحمن » من قوله - ﷺ - :
من احتبس فرساً في سبيل الله تعالى ، ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده ، فان شبعه ورِيّه وروّثه وبوله في ميزانه يوم القيامة^(١١) .

قلت : قد أبطل الاسلام ان يتخذ العرب خيولهم في السبق ، وأنه استنكر هذه الرياضة غير المباركة ، وما كانت لتبلغ من النكر والفساد ما بلغت « رياضة » السباق في عصرنا ، فكيف تقول اليوم وقد صارت هذه « الممارسة » مصدر إفقار لأسر كثيرة استهوى الشيطان رجالها فخرسوا الدنيا والآخرة .

ومن أدب هذه الممارسة الجاهلية أننا نقف في الأدب القديم على :

السابق وهو الذي يجيئ أول في السبق ، والمُصَلِّي هو الثاني ، وقيل له : مُصَلٌّ لأنه يكون عند

(٩) الترغيب والترهيب ٢٦١/٢ .

(١٠) مجمع الزوائد للهيتمي ٢٥٨/٥ .

(١١) رياض الصالحين ص ٥١٠ .

صَلَا الأَوَّل ، وصلاه جانبا دَنَبَه عن يمينه وشماله ، قال أبو عبيد : ولم أسمع في سوابق الخيل من يوثق بعلمه اسما لشيء منها الا الثاني ، والسكَّيت ، وما سوى ذلك انما يقال : الثالث والرابع وكذلك الى التاسع .

وقال غيره :

المصلي في كلام العرب السابق المتقدم ، قال وهو مشبه بالمصلي من الخيل ، وهو السابق الثاني ، قال : ويقال للسابق الاول من الخيل المُجَلِّي ، وللثاني المصلي ، وللثالث المُسَلِّي ، وللرابع التالي ، وللخامس المرتاح ، وللسادس العاطف ، وللسابع الحظي ، وللثامن المؤمل ، وللتاسع اللطيم ، وللعاشر السكَّيت ، وهو آخر السَّبَق (١٢) .

ومن المفيد أن انوه بما كان لهم من « انسانية » الخيل ، وذلك أنهم احتفظوا للفرس بكنى عدة هي من كنى العاقل فقالوا فيه : أبو شجاع ، وأبو مدرك ، وأبو مضي ، وأبو المضار ، وأبو المنجي .

وقد تقف على شيء من عنايتهم بالخيل يتبين في درسه ومعرفته وضبط أحواله وما يعرض له فقالوا :

ومن الخيل مالا يبول ولا يروث مادام راكمه عليه (١٣) . ومنها ما يعرف صاحبه ولا يُمكن غيره من الركوب عليه .

وفرقوا بين البرذون (وهو المهجين من الخيل) والخيل فقالوا :

الخيل نوعان : هجين وعتيق ، والفرق بينهما ان عَظْم البرذون أعظم من عظم الفرس ، وعظام الفرس أصلب وأثقل من عظم البرذون ، والبرذون أحمل من الفرس ، والفرس أسرع من البرذون ، والعتيق بمنزلة الغزال ، والبرذون بمنزلة الشاة (١٤) .

وحسبك ان تعرف ان « العتيق » في العربية هو الكرم من كل شيء والخيار من كل شيء .

(١٢) لسان العرب (صلو) .

(١٣) حياة الحيوان للدميري ٢٠٩٢ .

(١٤) حياة الحيوان ٢١٠٢ .

وقال الزمخشري في « الكشاف » في تفسير قوله تعالى :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ﴾ ٦٠ سورة الأنفال . . .

وفي الحديث « ان الشيطان لا يضرب صاحب فرس عتيق ولا دارا فيها فرس عتيق »^(١٥) .

ولابد لنا أن نمر على ما في كتاب الاسود الغندجاني الذي أسلفنا الكلام عليه فنقول :

والأسود الغندجاني هو أبو محمد الأعرابي :

قال ياقوت : كان علامة نسابة عارفاً بأيام العرب وأشعارها وأحوالها مستندة فيما يرويه عن

محمد بن احمد أبي الندى ، وهذا رجل مجهول لا يعرف .

وكان أبو يعلى ابن الهبّارية الشاعر يعيّرّه بذلك ، ويقول : ليت شعري ، من هذا الأسود الذي قد تصدّى للردّة على العلماء والأخذ على القدماء . بما نصح قوله ونبتل قول الأوائل ، ولا تعويل له في الرواية الا على أبي الندى ، ومن أبو الندى في العالم ! لا شيخ مشهور ، ولا ذو علم منشور .

قال ياقوت : ولعمري ان الأمر كما قال (ابو يعلى) فان هذا يقول : اخطأ ابن الاعرابي في أن هذا الشعر لفلان انما هو لفلان ، بغير حجة واضحة ، ولا أدلة لائحة ، وكان لا يقنعه ان يردّ على أهل العلم رداً جيلاً ، انما يجعله من باب السخرية والتهكم وضرب الامثال . وكان يتعاطى تسويد لونه بالقطران ، ويقعد في الشمس ليتحقق تلقيبه بـ « الأعرابي » . ورزق في أيامه سعادة من الوزير ابي منصور بهرام .

وله من التصانيف : الردّة على ابن السيرافي في شرح أبيات « الكتاب » ، الردّ عليه في شرح أبيات « الاصلاح » ، الردّة على أبي علي في « التذكرة » ، الردّة على ابن الاعرابي في « النوادر » ، أسماء الاماكن ، « الخيل » على حروف المعجم وهو كتابنا هذا ، و « فرحة الأديب » الذي أشرنا اليه . قال ياقوت : رأيت في بعض تصانيفه أنه صنفه في شهور سنة اثنتي عشرة واربعائة وقرئ عليه سنة ثمان وعشرين وأربعمائة^(١٦) .

(١٥) الكشاف للزمخشري .

(١٦) بغية الوعاة للسيوطي ٤٩٨/١ - ٤٩٩ .

وقدم الاستاذ المحقق لكتابه فأتى بفوائد كثيرة بسطها بين يدي الكتاب فكانت معينة على فهم أشياء كثيرة مما ورد فيه .

غير أني كنت أوشر ألا يشوب هذه « المقدمة » ، وهي تتصل بأدب أصيل قديم ، شئ من لغة هذه الايام فينال ذلك من بهاء هذا الدرس المفيد .

جاء في الصفحة ٢٠ من المقدمة :

. فقال عبد الملك بن مروان : عجبى من اختلاف أيمانه أشد من عجبى من معرفته بأنساب الخيل

ثم عقب الاستاذ المحقق على ذلك بقوله : علما بأن « عيَاشا » هذا رجل عادى (كذا) ولم يكن من العلماء المختصين المنقطعين (كذا) كالاصمعي مثلا .

اقول : كنت أود ان تخلو هذه المقدمة من قول المحقق : « علما » وهي كلمة ترد في السائر الدارج من لغة الدواوين وأشباهاها .

ثم ما معنى قوله : « رجل عادى » ، وهذا شئ من عامية أخذت بخناق الفصيحة المعاصرة .

ومن غير شك انه أراد العلماء المختصين « المنقطعين » أى المنقطعين الى العلم .

ولتقف قليلا على « أبي الندى » الذى روى عنه مؤلف الكتاب كثيرا في كتابه هذا وفي كتاب آخر هو « فرحة الأديب » الذى أحسن الاستاذ الدكتور سلطانى بتحقيقه .

اقول : روى المؤلف الغندجاني عن أبي الندى هذا كثيرا .

وأحسب ان « أبا الندى » هذا هو « هيّ بن يّ » كما يقول الأقدمون ، لقد اختلقه المؤلف وأراد ان يقول على لسانه في « فرحة الأديب » أشياء كثيرة رد فيها على « ابن السيرافي » وجهله وتهكم عليه مبينا فساد ما ذهب اليه ابن السيرافي في فهم الشعر القديم والادب القديم عامة .

وحلا للمؤلف وهو الغندجاني ان يروى عنه أيضا في هذا الكتاب فيأتى بأدب يتصل بالخيال تفرّد به أبو الندى على ما زعم المؤلف ، وكأنه أوماً في ذلك الى تفرده هو بكثير من الأخبار مما

يتصل بالجاهلين وغيرهم .

والذى يقوَى هذا عندى أنى لم أقف على أبى الندى ، ولم يشر اليه غيرى من المنقطعين الى درس الأدب القديم ، فهل يصح ألا يشير الى هذا العلم أحد من المتقدمين وقد انقطعوا الى الدرس وحصلوا على حظ وافر من المعرفة القديمة كأبى عبيدة والأصمعي وابن الأعرابي وغيرهم ، وهل يصح ألا يشير الى أبى الندى أحد من معاصرى الغندجاني من علماء القرن الخامس الهجري ، ويتفرد هو وحده بالأخذ عنه .

وجاء في الصفحة ٣١ من أسماء الخيل :

الأعرابيّ : لعباد بن زياد بن أبيه ، وكان مَقْتَضِباً لا يعرف له أب ..
أقول : ودلالة « المقتضب » على الذى لا يعرف أبوه شئ لا نجدّه في « المعجم » القديم ، والمقتضب هو المقطوع ، ولعل هذه الدلالة هى التى سوغت هذا المعنى الجديد .

وجاء في الصفحة ٣٩ الرجز :

يعدو به الأدهم منتاط الصَّغْنُ

أقول : والأدهم من أسماء الخيل ، وهو فرس هاشم بن حرملة المرّي . وقوله : « منتاط الصَّغْنُ » صوابه « منتاط الصَّغْنُ » بالفاء لا الغين ، والصَّغْنُ وعاء الخصية .

وجاء في الصفحة ٤٠ في الكلام على « إجراء » الخيل ، والقيام عليها سياسة ورياضة :

ثم صنعه حتى اجذع فأرسله فلم يصنع شيئاً .

أقول : وقوله : « صنعه » أى رَوَّضَهُ ودَرَّبَهُ من أجل أن يفوز في السبق ، وهذا من مصطلحهم القديم في ترويض الخيل .

وجاء في الصفحة ٧٠ ثلاثة أبيات :

وقائلةٍ يوم الحفاظ لبعلها - لا يُعدّل الصُّراع في الحدّثان

وقد علمت جَلَوَى بأن ليس رُبُّها
بمَعْتَلِيّ دونٍ ولا بَعَبَانِ
وجَلَوَى اسم فرس .

وقوله : « بَعَبَان » . وكان يجب ان يكون « بَعَبَام » والعبام الثقيل العبي .

وقلب الميم نونا للقافية ، وليس على البدل . وهذا يعني ان سلطان الشعر متحكّم جَبَّار ،
ومن ذلك أشياء كثيرة في الشعر القديم ولاسيما في أراجيز الرَجَّاز .

وجاء في الصفحة ٧١ في حاشية المحقق مأخوذة من « أنساب الخيل » لابن الكلبي في فرس
هي الحرون بن الاثاثي :

لمسلم بن عمرو الباهلي ... وكان مسلم تزايد هو والمَلَّهَب بن أبي صفرة على الحرون حتى بلغا به
ألف دينار ..

أقول : قوله : « تزايد » أى زاد كل منها على ما ذهب اليه الآخر في ثمنه ، والمزايدة هذه
هي المعروفة اليوم في البيع العلني وهي في العامية أشهر منها في الفصيحة .

وجاء في الصفحة ٩٠ في الكلام على فرس اسمه خصاف :

... فطلبه المنذر بن امرئ القيس ليفتحله فخصاه بين يديه لجرأته .

أقول : قوله : « ليفتحله » ليتبين « فحولته » ، وهذا مالم نجده في « المعجم » .

وجاء في حاشية أخرى في الصفحة ١٥٣ في كلام مأخوذ من « انساب الخيل » .

... قال كسرى : أف لك ، لقد ذكرتني أخبت يوم مرّ بي قطّ

أقول : ليس في الكلام ما يستدعى الوقوف الا وجود « قطّ » . ان هذا الظرف الماضي لا
يأتى الا في حشو الجملة المنفية فيقال : لم أره قطّ ..

وجاء في الصفحة ١٦٦ :

العراة فرس أبي داؤد الإيادي .

أقول : واسم « دواد » مشتق من السدود فهو دواد وليس دؤاد ذكره ابن دريد في « الاشتقاق » .

وجاء في الصفحة ١٩٩ :

القطوف فرس جبّار بن مالك الشمخيّ

أقول : وليس في الجاهلية ولا في الاسلام علم من أصل « جَبَر » على « فعّال » وهو « جَبَّار » كما أثبت المحقق . والذي نعرفه من الأعلام من هذا الأصل هو : جَبْر ، وَجَبَّير ، وَجَبَّيرَة وَجَبَّار مثل « زُوّام » بتخفيف الباء وجابر . وزيد على هذه في الاسلام عبد الجبّار أي « عبد الله » كغيره من الاعلام المصدّرة بـ « عبد » والمضافة الى اسم من أسماء الله الحسنى نحو عبد الرحمن وعبد الرحيم وعبد الغفّار وعبد الرزّاق وغيرها .

وقد رأيت في « القاموس المحيط » مادة (قطف) : أن « قَطوف » على « فَعول » فرس لجابر ابن مالك الشمخيّ ، وهذا يحقق ما ذهبت اليه .

وأكتفى بهذا القدر من ذكر هذه الفوائد التي اشتمل عليها كتاب « اسماء خيل العرب وأنسابها » للأسود الغندجاني الذي أحسن في تحقيقه وتجليته الاستاذ المحقق الجليل .

كما قدمت لهذا الكتاب بفوائد أخرى بدا لي أن ابسطها بين يدي الكتاب ليم الكلام على « أدب الخيل » .